من أمجاد الجزائر

(1962 - 1830)

سلسلة تاريخية ثقافية تصدر عن وزارة المجاهدين

الشهيد

عبان رمضان

1957 - 1920

منشورات المتحف الوطني للمجاهد

تصدير

تصدر هذه السلسلة التاريخية المخصصة للشهداء الرموز الذين يزخر بهم تاريخ المقاومة والثورة التحريرية، لتنير أمام الأجيال ولاسيما الشباب معالم درب النضال والجهاد الذي شقه ملايين الشهداء الأبرار بدمائهم الزكية، وعبدوه بأجسادهم الطاهرة ليكون معبرا للجزائر ولشعبها إلى الحرية والاستقلال.

تعد هذه السلسلة مساهمة من وزارة المجاهدين في بناء الذاكرة الجماعية وإثرائها، تعزيزا للجهود التي ما فتئت الدولة الجزائرية تبذلها من أجل الحفاظ على الهوية الوطنية، ودعم تواصل الأجيال وتلاحمها.

أرجو أن يجد الشباب الجزائري في هذه السلسلة ما يروي عطشه لمعرفة تاريخ بلاده وتضحيات شعبه خلال المقاومة والثورة التحريرية التي تعتبر مرحلة هامة في تاريخه المجيد.

محمد الشريف عباس

وزير المجاهدين

حقوق التأليف والنشر محفوظة للمتحف الوطني للمجاهد 2009
ر . د . م . ك : 978-9961-884-18-8
الإيداع القانوني : 2009-5827

المتحف الوطني للمجاهد

BP 168 EL - MADANIA - ALGER
TÉL : 00.213.021.66. 92.08-65.45.06
FAX:00.213.021.66.91.54

ص .ب 168 – المدنية – الجزائر
الهاتف : 00.213.021 . 66. 92. 08 – 65 . 45. 06
الفاكس : 00.213.021 . 66 . 91 . 54

البريد الإلكتروني :Email: mnm@museenat-moudjahid.dz

الشهيد

عبّان رمضان

1957 - 1920

بِمُنَاسَبَةِ إِحْياءِ ذِكْرى اسْتِشْهَادِ عبّان رمضان، أَلْقى أُسْتَاذُ مادّةِ التَّارِيخِ في إِحْدى الإِكْماليّاتِ دَرْساً في التَّارِيخِ تَطَرّقَ فيه إلى الحَديثِ عَن جَانبٍ من حَياةِ عَبّان النِّضاليَّة والجِهاديَّة، وكيف أنّها كانت ثَريَّةً رغم قِصَرِ المُدَّة التي عَاشَهَا إبَّانَ الثّورَةِ التَّحْرِيريَّة، مُتَمَنِّيًا لو أَطَالَ اللّهُ عُمْرَهُ حتّى يَرَى بعَيْنَيْهِ شَجَرَةَ الحُرِّيَّةِ وقد آتَتْ أُكُلَها.

فَطَلَبَ منْه نَجيب أن يُفيضَ في الحَديث عنه، لأنّ المَدرسة التي تَدْرُسُ فيها أُخْتُه تَحمِل اسْمَهُ.

تَوَقَّفَ الأُسْتَاذُ قَليلاً وَتَذكَّر أنّ مَطارَ

بجاية سُمِّيَ باسْمه، وكذلك شَارعًا كَبيراً في الجَزَائرِ العاصمة، وفي الحين طَلَبَ من نَجيب وبَعض زُمَلائه أن يَبْحَثُوا في سيرَته النِّضَاليّة والجِهَاديّة الثّريّة لكي تَكْتَملَ الصُّورَة لَدَى الجَميع.

رَحَّبَ التّلْميذُ بالفكْرَة، واتَّفَقَ مع زُمَلائه على القيَام بالبَحْث الذي طَلَبَهُ منهم أسْتَاذُهم، فاخْتَارَ كُلُّ تلْميذٍ جَانبًا من جَوانب حَياة الشَّهيد، على أن يكونَ التَّنْسيقُ فيما بينهم حتّى لا يُكَرّرَ الوَاحدُ منهم ما يَتَطَرَّقُ إليه زُمَلاؤُهُ. وبَعْدَ اكْتمَال البَحْث عَرَضُوهُ على الأسْتَاذ فَوجَدَهُ قَيِّمًا، لذلك اقْتَرَحَ على إدَارَة المُؤَسَّسَة أن تُخَصِّصَ له مُنَاسَبَةً، يُقَدَّمُ فيها أمَامَ جَمْعٍ

من الطَّلَبَةِ وبعضِ المَدْعُوّين.

وبمُنَاسَبَة الاحْتفَال بيَوْمِ الشَّهيد، جَمَعَت الإدَارَةُ التَّلاَميذَ في قَاعَة المُحَاضَرَات، التي وَفَدَ إليها بعضُ المُجَاهدينَ والأَسَاتذَة ومُمَثِّلُو جَمْعيَّة أَوْليَاء التَّلاَميذ. كانت بدَايَةُ الحَديث للتّلْميذ شعبان الذي خَصَّصَ كَلاَمَهُ للجَانب الأوَّل من حَيَاة عبّان رمضان، فاسْتَهَلَّهُ بالعبَارَة الآتيَة:

يُحَدّثُكم شعبان عن رمضان؛ فانْفَجَرَ الحَاضرُون بالضَّحك، لأنّهُم اعْتَبَرُوها نُكْتَةً. اسْتَجْمَعَ شعبان قُوَاهُ قَبْلَ الشُّرُوعِ في قرَاءَة ما كَتَبَ، ثمّ قَالَ:

وُلِدَ رمضان عبّان بقَرْيَة تُسَمَّى "عزّوزة"،

من قُـرَى بَـلَـديَّـة "الأربـعـاء نـاث إيـراثن"، الـواَقـعَـة بـولاَيَـة تـيـزي وزّو، في 10 جـوان 1920، من عَـائـلَة مَـيْـسُـورَة الحَال، مَـكَّـنَـها وَضْـعُـهـا من تَـوْفـيـر فُـرَص الـدّرَاسَـة لـهـذا الابْن، الـذي وَهَـبَهُ الـلَّهُ الـفـطْـنَـةَ والـذَّكَـاءَ، ولذلك اهْتَمَّ به وَالِدُهُ كَثيراً، وتَعَلَّقَتْ به أمُّهُ الـتي كان يَـحْظَى لَدَيْها بمَكَانَـة مُتَـمَيّزَة؛ لم يَبْخَلْ عليه أبُـوهُ بالمَال والعَطْف والرّعَـايَة، ممّا يسَّرَ له سُبُلَ الـتَّعَلُّم واكْتسَاب المَعْرفَة، حتّى وَصَلَ إلى مَرْحَلَة الـتَّعْلـيم الـثَّـانَـويّ؛ دَرَسَ فَتْرَةً بـثَـانَـويَّـة تيـزي وزّو قَبْلَ انْتقَاله إلى ثَـانَويَّة البليدة [ابن رشد حاليًا]، التي أكْـمَلَ فـيـهـا دراسَـتَـهُ، حَتّى تَـحَـصَّلَ عـلى شَـهَـادَة الـبَـكَـالُـوريَـا، في مَـادَّة الـرّيَـاضـيَـات

عام 1941؛ هذه الشُّعْبَةُ لم يكنْ يُوَجَّهُ إليها عَادَةً الطَّلَبَةُ الجزائريّونَ؛ ولكن رمضان عبّان فَرَضَ ذلك باجْتِهَاده وذكَائه، وإصْرَارِ وَالده. ولمّا سَاءَتْ أَحْوَالُ العَائلَة مَادِّيًّا بسَبَبِ ظُروف الحَرْبِ العَالَميَّة الثَّانيَة، سَافَرَ أَخُوهُ إلى فَرنسا بَحْثًا عَنِ الْعَمَلِ، وانْقَطَعَ هو كذلك عَنِ الدِّراسة لمُساعَدَة العَائلة. غير أنّ الإدَارَةَ الفرنسيّةَ جَنَّدَتْهُ لأَدَاء الخدْمَة العَسْكَريَّة الإجْبَاريَّة عَامَ 1943 وأَلْحَقَتْهُ بإحْدَى الثُّكْنَات بتيزي وزّو، التي نُقلَ منها إلى ثُكْنَة البليدة، عقَابًا له على تَمَرُّده على النّظَامِ العَسْكريّ، حيث ارْتَدَى مَرَّةً (البرنوس) فوق البَدْلَةِ العَسْكَرِيَّة، الأمْرُ الذي لا يَقْبَلُهُ

النّظَامُ الْمُتَّبَعُ في الثُّكْنَة. وخلالَ الدّراسة وأدَاء الخدْمَة العَسْكَريَّة بالبلَيدة، تَعَرَّفَ على عَدَدٍ من الشَّخْصيَّات الوَطَنيَّة، التي كان لها صِيتٌ كَبيرٌ في تَاريخِ الثَّورَةِ التّحريريّة...

تَوَقَّفَ شعبان عن الحَديث، بعدما شَكَرَ الحَاضرينَ على حُسْنِ الإِصْغَاء، وفَسَحَ المَجَالَ لزَميلَته أسماء، التي اسْتَهَلَّتْ حَديثَها قَائلَةً:

بَعْدَ هجْرَة أخيه الأكْبَرِ إلى فَرنسا، سَعَى له أبُوهُ للحُصُول على مَنْصب عَمَلٍ، فتَحَصَّلَ على وَظيفَة كَاتبٍ عَامٍّ ببَلَديَّة "شاطودان" (شلغوم العيد ولاية ميلة حاليًا)، ولكنْ بَعْدَ أنِ اكْتَشَفَتِ السُّلُطَاتُ

الفَرنسيَّةُ أنّ له عَلاَقَةً بالنّشَاط السّيَّاسيّ، وصلَةً بمُناضلي حَركَة الانْتصَار للحُرِّيَّات الدِّيمُقراطيَّة عَزلَتْهُ عَنْ مَنْصبه، فتَفَرَّغَ للنّضال السّيَاسيّ في صُفوف الحَركَة. وبفَضْل نَشَاطه الدَّؤوب في النّضَال ارْتَقَى في سُلَّم المَسْؤولَيَّات داخلَ صُفوف الحَركَة، واسْتَمَرَّ في نضَاله تحت مظَلَّة الحَركَة؛ فكان يُمَارسُ نَشَاَطاته السّيَّاسيَّةَ مُتَنَقِّلاً عبر التُّرَاب الوَطَنيّ. وكانت السُّلُطَاتُ الفرنسيَّةُ تُطَاردُهُ حيثما حَلَّ وارْتَحَلَ، واسْتَمَرَّتْ في ذلك إلى أنْ أَلْقَت الْقَبْضَ عليه إثْرَ إشْرَافه على اجْتمَاعٍ لإحْدَى خَلاَيَا الحَركَة بنَاحيَة عين تيموشنت (بالغرب الجزائري)، وقَدَّمَتْهُ للمُحَاكَمَة، فحُكمَ عليه بالسِّجْنِ لُمدَّة ستِّ

سَنَوَاتٍ نَافِذَةٍ، مع غَرَامَةٍ مَالِيَّةٍ بَاهِضَةٍ. وفي عَامِ 1950 زُجَّ به في السِّجْنِ بالجزائرِ، ثمّ نُقلَ إلى فرنسا، ثمّ أعيدَ إلى العاصمةِ مَرَّةً أُخْرَى، لقَضَاءِ ما تَبَقَّى له من عُقُوبَةٍ في سِجْنِ الحرّاش.

عَامَلَتْهُ السُّلُطَاتُ الفرنسيّةُ في السِّجْنِ مُعَامَلَةَ الْمُجْرِمِينَ، فرَفَضَ ذلك لأنّه كان مُتَعَلِّمًا، يَعْرِفُ حُقوقَ السَّجِينِ السِّيَّاسِيِّ؛ لَجَأَ إلى اسْتِعْمالِ وَسيلَةِ التَّعْبيرِ الْمُتاحَةِ له، ألا وهي الإِضْرابُ عَنِ الطَّعَامِ، فاسْتَخْدَمَها للتَّعْبيرِ عن رَفْضِه الْمُعامَلَةَ التي كان يُعَامَلُ بها، واسْتَمَرَّ في إِضْرَابِهِ لُمدَّةٍ تَفُوقُ الشَّهْرَ، حتى حَصَلَ على مَطْلَبِه؛ فاسْتَغَلَّ هذا الحَقَّ في الْمُطَالَعَةِ، لِمَعْرِفَةِ ما

كان يَجْري خَارِجَ أسْوَارِ السّجْنِ؛ من خلالِ قِرَاءَةِ الجَرَائِدِ والكُتُبِ، التي انْكَبَّ عليها بنَهَمٍ كبيرٍ، فَتَفَتَّحَ ذِهْنُهُ وتَوَسَّعَتْ مَدَارِكُهُ، من خلالِ اطِّلاَعِه على ما كان يَجْري في العَالَمِ الخَارِجِيِّ: شُعوبٌ تَتَحَرَّرُ، وأُخْرَى تُكَافِحُ في سَبيلِ الحُرِّيَّة، وشَخْصِيَّاتٌ مُسْتَنِيرَةٌ يُسْمَعُ صَوْتُها عبرَ المَحَافِلِ الدُّوَلِيَّةِ، وتَنْقُلُ الصُّحُفُ تَصْرِيحَاتِها، فانْعَكَسَ ذلك على بَلْوَرَةِ أفْكَارِهِ...

عِنْدَ هذه النُّقْطَةِ شَكَرَتْ أسماء المُسْتَمِعينَ على كرمِ الإصْغَاءِ، وفَسَحَت المَجَالَ لزَمِيلِها رضوان الذي اسْتَهَلّ الحَدِيثَ بَعْدَها قَائِلاً:

لقد سَبَقَتِ الإشَارَةُ إلى أنّ عبّان رمضان حينما كان في البليدة تَعَرَّفَ على عَدَدٍ من

الشَّخْصيَّات الوطنيّة، فلمّا أُخْلِيَ سَبيلُهُ من سِجْنِ الحَرّاش عَامَ 1955، ورَجَعَ إلى مَسْقَط رأسه، اتَّصَلَتْ به قيَادَةُ المنْطَقَة الثَّالثَة، وعَرَضَتْ عليه الانْضمَامَ إلى الثَّورَة، فرَحَّبَ عبّان بالفكْرَة، وقَبلَ العَرْضَ دون تَرَدُّدٍ، فكَلَّفَتْهُ قيَادَةُ المنْطَقَة بالالْتحاق بالعاصمة، لتَأطير النَّشَاط الثَّوريِّ بها، وهناك أجْرَى عدَّةَ اتّصالاتٍ مع المُنَظَّمات والجَمْعيَّات والشَّخصيَّات المُخْتَلفَة؛ فاسْتَطَاعَ إقْناعَها بالانْضمام إلى جَبْهَة التَّحرير الوطنيِّ، التي فَجَّرَت الثَّورَةَ وقادَتْها إلى النَّصْر.

وبَعْدَ ما يَقْرُبُ من العامَيْن على انْدلاع الثَّورَة، انْعَقَدَ بوادي الصُّومام مُؤْتَمَرٌ جَمَعَ

أَغْلَبَ قَادَةِ الثّورَةِ الكِبارِ بِمَكَانٍ يُسَمَّى "إيفري أوزلاقن" بولايَة بجاية حَالِيًا، لتَقْيِيمِ نَتائِجِ الثَّورَةِ المُسَلَّحَةِ، وتَنْسيقِ الجُهودِ في الدّاخِلِ والخارِجِ، على ضَوْءِ الأَحْداثِ المُسْتَجَدَّةِ على أَرْضِ المَعْرَكَةِ، فَكَانَ عبّان من أَبْرَزِ المُشَارِكِينَ فيه.

ومن بين النَّتَائِجِ التي تَوَصَّلَ إليها المُؤْتَمَرُ إِحْدَاثُ لَجْنَةِ التَّنْسيقِ والتَّنْفيذِ التي اخْتَارَت العاصمةَ مَقَرًّا لها؛ كان عبّان من بين أَعْضَائِها إلى جَانبِ محمّد العربي بن مهيدي، وسعد دحلب وبن يوسف بن خدّة، وكريم بلقاسم. وفي السَّنَةِ المُواليَةِ دَعَتِ اللَّجْنَةُ الشَّعبَ الجَزائِريَّ إلى شَنِّ إِضْرَابٍ عَامٍّ، دامَ أسْبُوعًا كامِلاً (من 28 جانفي

إلى 04 فبراير 1957)...

انْتَهَتْ مُداخلَةُ التّلميذ رضوان، فأحيلَت الْكَلمَةُ إلى التّلميذة نوال، التي خَصَّصَتْ حَديثَها عن عَلاقَة عبّان رمضان بالنَّشيد الوَطَنِيِّ حيث قَالَتْ:

خلالَ أداء عبّان وَظيفَتَهُ ببَلَديَّة (شاطودان)، كان قد تَعَرَّفَ على مُعَلِّمٍ من مُعَلّمي المدارس الحُرَّة هُنَاكَ، ولمّا عُزلَ عبّان عن الوَظيفَة وتَفَرَّغَ للنّضال السّيَّاسيِّ، الْتَقَى بالْمُعَلِّمِ مَرَّةً أُخْرَى بالعاصمة، ومن خلال حَديثٍ دَارَ بينهما، أكَّدَ هذا الأخيرُ لعبّان أنّه أصْبَحَ من الضَّروريِّ التَّفْكيرُ في تَأليفِ نَشيدٍ وَطَنِيٍّ يُمَجّدُ الثَّورَةَ ويُخَلّدُ

بُطولاتِها. فتَمَّ الاتِّصَالُ بِالشَّاعرِ مُفْدِي زكريّاء الذي حَقَّقَ الرَّغْبَةَ في ظَرْفٍ قَصيرٍ. ولَمَّا اطَّلَعَ عبّان وَبَقيةُ المُنَاضلينَ على النَّشيدِ اسْتَحْسَنُوهُ، وكَلَّفوا الشَّاعرَ بالبَحْث عَمَّن يُلَحِّنُهُ، فتَمَّ تَلْحينُهُ بمنْزله بالقبّة أوَّلاً، ثمّ بتونس ثَانيًا، وفي الأَخير لَحَّنَهُ الموسيقار محمّد فوزي، وهو اللَّحْنُ الذي يُؤَدَّى به النَّشيدُ الوَطَنِيُّ حاليًا...

في الأخيرِ، جَاءَ دَوْرُ نجيب ليَخْتِمَ الحَديثَ عن عبّان رمضان، فقَالَ:

بَعْدَ مَعْركَة الجزائرِ، أجْبرَ أعْضَاءُ لَجْنَة التَّنسيقِ والتَّنْفيذ على مغادرة الجزائرِ عامَ 1957 مُتوَجّهينَ نحو الدُّوَل الشَّقيقَة والصَّديقَةِ عَبْرَ تونس والمغرب لمُواصَلَةِ

مَهَامِّهِمُ النِّضالِيَّة. وفي عامِ 1958، نَشَرَتْ جَرِيدَةُ المجاهد خَبَرَ اسْتِشْهادِه في 27 ديسمبر 1957 على الحُدودِ المَغربيّة الجزائريَّة، وبذلك انْطَفَأت شَمْعَتُه التي أَنارت الدّرْبَ للجَزائريّينَ، وَأَحْرَقَتْ أَعْدَاءَهم...

وبعد انْتِهَاء التّلاميذِ من تَقْديمِ بَحثِهم تَدَخَّلَ الأُسْتَاذُ قَائِلاً:

لقد تَبَيَّنَ لكم من خِلالِ البَحْثِ الذي قَدَّمْتُموهُ أنّ حَيَاةَ عبّان رمضان النِّضالِيَّةَ والجِهاديَّةَ لاسيَّما إبّانَ ثَورَةِ التَّحْريرِ المُبارَكَةِ -رغم قِصَرِ مُدَّتِها- كانت ثَرِيَّةً جداً، وعليه فإنَّ حَياةَ الإِنْسانِ لا تُقاسُ بطولِ العُمْرِ أوْ

كَـثْـرَةِ الأَعْـمَـالِ الـتي يـقـومُ بـهـا وإِنَّـمـا بقِيمَتِها.

المجد والخلود لشهدائنا الأبرار